تمثلات السلطة في رواية (متوالية الناصري) لجاسم عاصي

نعيم عبد الامير عبد الحسين أ. د. مصطفى لطيف عارف

جامعة ذي قار / كلية التربية للعلوم الإنسانية / قسم اللغة العربية

Naeem_almsafri@yahoo.com mustfaalhoseay@gmail.com

الملخص:

رواية متوالية الناصري، حلقة في سلسلة تجربة الروائي العراقي جاسم عاصي التي اتسمت بالاحتراف والواقعية، والقدرة على خلق مناخات روائية مختلفة، محملة بتجاربه الشخصية، التي تشكل الناصرية بمحمولاتها المكانية والتاريخية والاجتماعية والسياسية والثقافية أحد أهم روافدها. وقد هيمنت أفكاره التنويرية والثقافية السياسية في مدونته السردية هذه. فضلا عن تجاربه في النقد الأدبي والتشكيلي والفوتوغرافي.

الكلمات الافتتاحية: (السلطة، سلطة المكان ، سلطة الدين ، سلطة الثقافة، متوالية الناصري).

Representations of authority in the novel (The Nasiri Series) by Jassim Assi

Dr. Mustafa Latif Arif Naeem Abdul Amir Abdul Hussein

Dhi Qar University / College of Education for Human Sciences / Department of Arabic Language

Abstract:

The novel Al-Nasiri series is the link of the experience of the Iraqi novelist Jassim Assi which was characterized by professionalism, realism, and the ability to create different narrative climates is loaded with his personal experiences of Nasiriyah, with its spatial, historical, social, political and cultural contents constitutes one of its most important tributaries. His enlightenment and political cultural ideas dominated this narrative blog. In addition to his experiences in literary, visual and photographic criticism.

key words:(Authority, place, politics, religion, culture, series).

التمهيد:

يبدو أن مفهوم السلطة في المعاجم اللغوية، يرتكز على شكل علاقة تقوم بين طرفين، يحكمها القهر، الذي يفرضه أحد هذين الطرفين على الآخر بالقوة. حيث جاء في لسان العرب (السلاطة: القهر، وقد سلطه الله فتسلط عليهم، والاسم سطلة بالضم) (منظور، ١٩٩٩)

أي أن التسلط هو فرض إرادة طرف على طرف آخر. وفي المعجم الفلسفلي ورد بأن (السلطة في اللغة: هي القوة والقدرة على الشيء والسلطان الذي يكون للانسان على غيره....وجمع سلطة سلطات، وأن هنالك سلطات تنضوي تحت هذا المفهوم منها السلطة النفسية، والسلطة الشرعية، والسلطة الدينية، وسلطة الأجهزة الاجتماعية، والسلطة السياسية، والتربوية، والسلطة القضائية وغيرها) (صليبيا، ١٩٨٢) والسلطة (تتجسد في كل الآليات التي تتحكم في العلاقات الاجتماعية بشكل عام، وتصبح بذلك مجموع القوى والآليات المتعددة في مجتمع ما، وفي مكان وزمان معينين والتي تنتج المفهوم الشائع للسلطة) (الصديق، ٢٠٠١)

وما يعنينا في هذا البحث، من أنواع السلطات المختلفة، هي السلطات التي تتمثل سرديا في المخيال الروائي، ومنها: سلطة المكان وسلطة السياسة وسلطة الدين وسلطة الثقافة.

قراءة في حياة جاسم عاصي

جاسم عاصي كاتب عراقي، ولد في مدينة الناصرية عام ١٩٤٥، وعمل في التعليم الابتدائي منذ عام ١٩٦٤ وحتى عام ٢٠٠٨، بدأ النشر منذ عام ١٩٦٥ في الصحف والمجلات العراقية والعربية. يكتب القصة القصيرة والرواية والنقد، وله العديد من الإصدارات في كل هذه المجالات. وكان عضو المجلس المركزي في الاتحاد العام للأدباء والكتاب في العراق. وصدرت له عدة أعمال منها:

المجاميع القصصية:

الخروج من الدائرة، ١٩٧٤

خطوط بيانية، ١٩٨٠

الحفيد، ١٩٨٨

مساقط الضوء، ١٩٩٩

الروايات:

مستعمرة المياه، ٢٠٠٤

انزياح الحجاب ما بعد الغياب، ٢٠٠٩

ليالي المنافي البعيدة، ٢٠٠٩

ما قيل وما، ٢٠١٠

في انتظار الضفاف البعيدة (مجموعة روايات)، ٢٠١١

متوالية الناصري، ٢٠٢٤

مؤلفات أخرى:

الحلم والأسطورة، مقاربات في الفن التشكيلي.

هو الذي روى سيرة نص محمود عبد الوهاب

أنساق المعنى / ـ دراسات في الرواية الفلسطينية.

الجوائز:

جائزة مؤسسة ناجي النعمان بلبنان لعام ٢٠٠٦.

جائزة وزارة الثقافة للأبداع الروائي لعام ٢٠١٠ عن رواية إنزياح الحجاب ما بعد الغياب.

جائزة وزارة الثقافة للإبداع النقدي لعام ٢٠١٤.

جائزة أدب الرحلات مسابقة الراحل (ناجي الساعاتي) عام ٢٠١٥. (جريدة المدى، ٢٠٢٣)

سلطة المكان

يُعد المكان عاملا مهما حيث يتخذه الروائي عنصرا ـ مع العناصر الأخرى ـ في بناء الفضاء الروائي، حيث أن ((الفضاء في الرواية ينشأ من خلال وجهات نظر متعددة؛ لأنه يعاش على عدة مستويات: من الراوي بوصفه كائنا مشخصا وتخيليا أساسا، ومن خلال اللغة التي يستعملها فكل لغة لها صفات خاصة لتحديد المكان (غرفة ـ حي ـ منزل) ثم من طرف الشخصيات الأخرى التي يحتويها المكان، وفي المقام الأخير من طرف القارئ الذي يدرج بدوره وجهة نظر غاية في الأهمية)) (بحراوي، ١٩٩٠) وقد يتحول المكان في بعض الروايات إلى شخصية رئيسية في الرواية، عندما يكون هو الهدف كله من كتابة تلك الرواية؛ فيكون بذلك خلفية لتكوين الشخصيات الروائية. وللمكان سلطة كبيرة في خلق نمط الشخصيات الروائية ووعيها. لأنه من ((خلال المكان يستطيع القارئ أن يكون فكرة عن المستويات الاجتماعية لساكنيه، ويعرف درجة وعيهم وخصائصهم النفسية)) (الخزاعي، ١٩٩٨)

وسأدرس في هذا المحور من البحث تناقض البيئات المختلفة للموقع الجغرافي الواحد، لما يفرضه تأثيرها في تكوين سلوك شخصيات رواية متوالية الناصري التي تقطن هذا المكان. وأترك تأثير

الأماكن الأخرى إلى المحاور التالية في البحث. لأنه يمثل الإطار العام للمكان، الذي تنضوي تحت مظلته الأماكن الأخرى في الرواية.

وللموقع الجغرافي في رواية متوالية الناصري سلطة، كبيرة ومؤثرة على وعي الشخصات الروائية، في الحكاية الإطارية للرواية، حكاية أهل الناصرية الذين وجودا مخطوطة قديمة عندما انحسرت مياه النهر، وحققها أحد شخصيات تلك الرواية وهو مؤلف الرواية نفسه (جاسم عاصي) والتي يكون فيها المكان مدينة الناصرية الحديثة. أو في الحكاية الثانية، أي التي في المخطوطة التي عُثرَ عليها وحُققت، حيث يكون المكان المدينة التي أسسها شرهان سابقاً.

يقع المكان . القرية، المدينة . بين ثلاثة أماكن أو بيئات مختلفة متناقضة، في حالها المتقلب بين الهيجان والسكون، والسعة والضيق، والوضوح والغموض، وما تمثله كل تلك المتناقاضات من دلالات فنية. وتلك الأماكن هي: النهر، والهور والصحراء.

النهر الهائج (أبو جداحة) والذي يسبب للسكان قلقاً دائما، حيث يهددهم بالفيضان الذي قد يكتسح كل شيء "لقد استنبتت أجسادنا في أرض المدينة كالفسائل، واستطالت قاماتنا وكبرت رؤوسنا دون أن نقلب سر تلك المياه الأزلية. لكن سمعنا أن وجودها كان هكذا، وأن المدينة كانت تحت رحمة الفم الفاغر أبي جداحة ومياه المسطحات....وتواصلنا مع ترعرنا هكذا محاصرين بالمياه" (عاصي، ٢٠٢٤) فأن تكون هذه الشخصيات تحت رحمة شيء ما، قاهر هائج، فاغر فمه كوحش إسطوري؛ فهذا يجلعها شخصيات مستلبة هشه ضعيفة، لا تبحث عن خلاصها بنفسها، بل تنتظر من ينقذها مما هي فيه، حيث أن "الاستلاب صنيعة الخيبة والعجز وهو رديف الاحساس بالضياع واللاجدوى الذي يحكم قبضته من نفس الإنسان فيحليه إلى حالة من التسليم المَرَضِي، والرضا بالعيش في هامش الحياة)) (القيسيس، ٢٠١٥) ونرى هذا من خلال حديث أحد الشخصيات الذي جعله الروائي دون إسم، للدلالة على أنه يمثل وجهة نظر معظم شخصيات الرواية ((وأكد أحدهم على أن الله بالمرصاد، وأبو جداحة سيُسقط لعنته على من أخطأ، فيهلكه لا محال. أما نحن فليس لنا يد في كل ما عمل واقترف من ذنب)) (عاصي، ٢٠٢٤) ثم يفاجئنا الروائي بنهاية مفارقة تصدم وعي القارئ وتثير دهشته، وذلك باضافة حدث أو تفصيل صغير في نهاية الرواية، عندما يصبح المكان (نهر أبي جداحة) مصدرا للانتعاق والحرية بانقاذهم من سلطة شرهان، بعد أن كان مصدرا للقلق والطغيان،

حينما أغرق مدينة شرهان بمياهه وجعلها أثرا بعد عين ((فاندهش مما رأى، بحراً من المياه تغمر الأرض التي كانت تشكلها مدينة شرهان، ورفع رأسة إلى السماء متمتما... حكمتك يارب)) (عاصي، ٢٠٢٤) وبقيت هكذا حتى العصر الحديث، عندما انحسر عنها فوجد السكان آثارها التي كانت مغمورة بالمياه، وفي تلك الآثار وجدوا المخطوطة، التي تحول تحقيقها إلى رواية متوالية الناصري. حيث نرى تحولات المكان . النهر من وحش فاغر فاه يريد أن يلتهم السكان إلى منقذ لهم من سطوة شرهان ثم إلى حكيم ينقل لهم العبرة والعظة. ويصبح بهذا أحد الشخصيات المؤثرة في هذه الرواية.

والمكان الثاني هو (الهور) أي تلك المسطحات المائية الشاسعة الهادئة والذي أسماها الروائي (مستعمرة المياه) التي تمثل الخير الوفير لما تحويه من أسماك وطيور وقصب وبردي، وما يربي فيها السكان من حيوانات، ومنتجات تلك الحيوانات. واستخدام كل ذلك في تدعيم السلة الغذائية وبناء البيوت والأسواق. وما تمثله من ملجأ وأمل لسكان المدينة. حيث كان الخلاص متمثلا بمستعمرة المياه، لما توفره من ملاذ آمن للهرب من سلطة هذا المكان الطاغي المتمثلة بفضيان نهر (أبي جداحة)، أي نهر الفرات حاليا، أو السلطة التي أنتجتها تناقضات هذا المكان المضطرب المتمثلة بشرهان. حيث تعده سلطته السياسية مكانا معاديا يهدد وجودها ((وقد تعذر عليّ ومن مثلي الدخول، إذ وصلت أخباري إلى الحاج شرهان حين كنت في مستعمرة المياه. فنحن ممن يتسقطون خطاه لنعرف مكمن قوته)) (عاصي، ٢٠٢٤) فتكون السلطة السياسية دائما في ريب من المعارضين الذين يتخذون من طبيعة تلك المستعمرات المائية، حصنا ومنطلقا للكفاح، فتتخذ تلك السلطة التدابير التي تراها مناسبة للحد من ذلك الخطر "مؤكدا انه ما عمل هذا إلا لحمايتهم من شرور رجال مستعمرات المياه، أو رد قسوة الوحوش البشرية التي تسكن الصحراء، وتهيج بين موسم وآخر" (عاصي، ٢٠٢٤)

المكان الثالث الصحراء المنسبطة التي تفصل هذه المدينة عن بقية المدن، والتي لها سلطة أخرى تفرض هيمنتها على الشخصيات التي تقطن تلك المدينة. فهو مكان يختبئ فيه اللصوص الذين يهددون أمن المدينة، ويتخذونه منلطقا للإغارة عليها، وممرا قد يسلكه الغزاة بغية احتلالها. وهو بنفس الوقت يمثل أملا آخر للخلاص . مع مستمعرة المياه . من خلال اختباء رجال المعارضة فيها، كما يحتمل الإقتباس الذي ورد أعلاه. كما مثلت الصحراء في هذه الرواية أملا اقتصاديا لسكان المدينة من خلال التبادل التجاري الذي يحصل بين التجار القادمين عبر الصحراء وتجار المدينة، حيث "ينتظر

أهلها وأطرافها، داخلين إلى أسواقها بما تجود به أنعامهم من حمل في المواسم والمناسبات" (عاصي، ٢٠٢٤)وقد وفرت الصحراء مساعدا هاما لسعيد الناصري في تنفيذ مهمته من خلال شخصيات حوريات الصحراء ((حفت بك حوريات الصحراء على أجمل صورة، وتطلعن بوجهك وأسفن على وضعك، فقد ارتويت من ماء جرابهن" (عاصي، ٢٠٢٤)كما وفرت له الدليل الذي أرشده إلى المدينة وإلى كيفية دخولها والوقت الذي يمكن أن يدخلها فيه آمنا، وذلك من خلال شخصية المكاري ((وضاعف همته حتى ظهر له رجل يمتطي حمارا، ويسوق قطيعا منها وسط هذا الجوف الواسع من الأرض الخلاء.....هذا صحيح وسأرافقك إليها الآن. غير أني لا أدخلها معك)) (عاصي، ٢٠٢٤)

سلطة السياسة

مما لا شك فيه أن لابد من ظهور سلطة سياسية في كل تجمع بشري، تحكمه وتسير أموره، ويكون شكلها حسب طبيعة ذلك المكان الذي يقطنه ذلك التجمع البشري. ((ولأنظمة الحكم السياسية التي يمكن أن يشكلها الاجتماع البشري أربعة انواع: النظام الاسترقراطي (حكم القلة الفاضلة)، والتيمقراطي (حكم التفوق والغلبة للطامحين) والاوليغاري (حكم القلة الغنية) والدكتاتوري (حكم الفرد الظالم)) (خنافر، د.ت) وتمثل هذا الحكم الفردي في الرواية بشخصية (شرهان)

وقدمنا في المبحث الأول، أن هذا الموقع الجغرافي الذي اتخذه الكاتب مكانا تدور فيه أحداث روايته، وهو مكان غير مستقر، لوقوعه بين الأماكن الثلاثة المتناقضة (النهر . الهور . الصحراء) يفرض سلطته على الشخصيات. أي سلطة المكان. فيجعل منهم شخصيات غير مستقرة تبحث عمن ينقذها ويخلصها من هذا القلق وعليه تكون سهلة الأنقياد لمن يجيد السيطرة والتلسط عليها واضطهادها حتى تستمرئ هذا الانقياد. مما يؤدي إلى سهولة ظهور شخصية مستبدة تسيطر على تلك الشخصيات المستبلة التي يسهل انقيادها. لهذا ظهرت في الرواية شخصية (شرهان) ممثلة للسلطة السياسية.

وقد رسم الروائي جاسم عاصي هذه الشخصيه بشكل مُتقن؛ فقد صوره على أنه غريب عن أهل المدينة، قادم من مكان مجهول بالنسبة لهم، مما أضاف لشخصيته هالة من الغموض والرهبة في أعينهم، وجعلهم سهلي الانقياد له ((راقبوه والخوف يُمسك بتلابيبهم وأحاسيسهم مما سوف يحدث، وكيف تسنى لهذا الرجال الغريب أن يقف هكذا ويهبط نحو جوف المجهول دون وجل وريبة وحذر من خطر الفعل هذا. ألا يعلم بسر أبي جداحة وغضبه...؟!)) (عاصي، ٢٠٢٤)وهذه أول وأخطر خطوة

أقدم عليها شرهان عندما قَدِمَ من المجهول وتحدى أكبر خطر يخافه الناس ويفرض سلطته عليهم وهو نهر (أبي جداحة). وبهذا أصبح الخوف من شرهان هو البديل الموضوعي للخوف من النهر، وبالتالي تمكن من السيطرة عليهم.

كما بين الروائي، أبعاد هذه الشخصية المتسلطة (شرهان) وسماتها، من خلال تبيانه الطرق التي أحكم بها سيطرته على سكان المدينة، والوسائل التي اتخذها كي يصل إلى مبتغاه. حيث وصف شرهان بأنه طامح كبير ((فلا حدود أمامه تقف حائلا دون تحقيق رغباته مازال يمتلك القوة في السلطة. فالكل يخرُّ لمقدمه وينح ولاءً لاستقباله، ما أن يقدم كفه إلى الأمام، حتى يوفد القوم ويتسابقون للثمها)) (عاصي، ٢٠٢٤) وأحكم سيطرته على المدينة عندما أحاطها بأسوار منيعة لا يمكن اختراقها من قبل من يعدهم غرباء أو معارضين يزعزعون حكمه، وعلى أبراج تلك الأسوار وحراس شداد يقضون، وأخرون قساة يجوبون شوارعها، ويجبون الضرائب التي فرضها على السكان ((تجثم على مشارف صحراء السواد، بأبراجها وسورها المنيع.....يحرسها جنود وجندرمة وآخرون لا ترى لهم قامات.....ببصاصين يمتلكون عيوناً حادة ترى ولا ترى.....الويل لمن يُكتشف أمره؛ ساعتها لا ينفع لانهاء المصير المحتوم شيء سوى الموت)) (عاصي، ٢٠٢٤) ومن الوسائل التي اتخذها لتدعيم سلطانه واحكام قبضته على سكان المدينة وقهرهم تشيده في المدينة قصرا كبيرا جعله مقراً لحكمه، وتحته سراديب اتخذها سجونا ومعتقلات يعذب فيها معارضيه حتى الموت فلا ينجو منهم إلا القليل ((ولم تثنني كثرة ما سمعت. فعرفت من أن الداخل إلى القصر لا يخرج منه. وإن خرج فسوف يكون محمولاً على محفة الموت. يشيعه الناس بأمر من شرهان، دافعه الخوف)) (عاصي، ٢٠٢٤)

وهنا نلاحظ من قول الراوي أنه سمع كثيرا عن القصر، أي أن شرهان لم يكتف بتشييده واتخاذه ثقبا أسودا في المدينة، بل أشاع ذلك بين الناس ليثير الرعب في نفوسهم. كما أنه يأمر الناس بتشييع من يقتله ليدعي أنه بريء من دمه، والناس بما أنهم شخصيات مستلبة، ينقادون لهذا الأمر بسهولة ويشيعون ذلك القتيل رغم معرفتهم بأن شرهان هو الذي قتله. ومن أجل إخافة الناس أكثر وقتل ثقة بعضهم بالبعض الآخر، وإشاعة الشك والريبة بينهم، حتى لا يتبالدوا الأخبار ولا يبثون شكواهم لبعضهم وأفكارهم في كيفية تخلصهم من ظلمته وجبروته واستبداده؛ فقد بث جواسيس بينهم ينقلون إليه

كل حديث كي يتخذ التدابير المناسبة ((إذ تحولت عيون البصاصين إلى آلات تتسقط كل نأمة، مبصرون يشمون حتى الروائح، فقد زرع الشك في كل شيء، ولكل حال محال)) (عاصي، ٢٠٢٤)

ورغم كل هذه الأجراءات القاسية إلا أنه ظل يشعر بالخطر، فالتجأ إلى وسيلة أخرى وهي سن القوانين، والزام الناس بها رغبا ورهبا، ليخضعوا له أكثر، وليتمكن من قهر معارضيه الذين مازال يستشعر وجودهم ((شيد سور يحف المدينة من كل أطرافها المائية والصحراوية.....كلَّف المؤلفين بإعادة صياغة الرؤيا واستنساخها ليطلع على محتوياتها القوم، ثم وزعها على الكتاتيب والملائي للاطلاع والتدريس.....سنَّ قانونا يقضي بعدم مغادرة المدينة أو الدخول إليها إلا بتصريح.....وبعد كل هذا توالت القوانين، ليس الغرض منها حماية المدينة من الغزاة والمندسين كما أشاعوا، بل لتثبيت سلطانه عليهم)) (عاصي، ٢٠٢٤)

واستخدم أساليب أخرى لخداعهم والسيطرة عليهم وعلى أموالهم، وذلك بتسليط مجموعة من رجاله لسرقتهم، وإيهام السكان بأن هؤلاء سراق، جلبتهم عيون الحساد من مناطق الجوار فطمعوا بما يكسبه الناس في مدينة شرهان، لذا لا يمكن البقاء مكتوفي الأيدي، ولابد من الوقوف لهم بالمرصاد ((ولصدهم يلزمنا رجال، والرجال يلزمهم مال كي يؤدوا واجبهم على أحسن حال، ويتفرغوا الليل كله للحراسة. وما نستحصل منكم هو أجور لهم، ونحن كما تعرفون لا نضع مالا حراما في جيوبنا)) (عاصي، ٢٠٢٤) وهو بهذا حقق عدة مآرب له في ضربة واحدة. وهي اخافتهم لإحكام سيطرته عليهم، والحصول على أموالهم كضرائب ينفقها في خدمتهم، وكذلك الإدعاء بأنه تقي ورع لا يضع المال الحرام في جيبه.

ومن أخطر أساليبه هو تشويه صورة معارضيه، الذين يعتقد الناس بأنهم سبيل الخلاص والأمل الوحيد المتبقي لهم. وهذا أسلوب أنجع من الاعتقال والقتل الذي يرسخ صورة أولئك المعارضين في نفوس الناس على أنهم أبطال. فعندما تُشوه صورتهم في أعين الناس؛ فانهم سيفقدون القدرة على التأثير في نفوسهم، وبهذا يتخلص منهم شرهان دون عناء ودون جلب أية شبهة له أو لرجاله ((هؤلاء الشقاوات من آل الناصري. لا هم لهم سوى العبث فيما نُشيد ونبني ونعمر، لا يكفيهم مستعمرة المياه للاستقرار، بل لهم أطماع في أرضنا. لكن قبضة رجالنا قوية وستقضي على تحركاتهم))

وكذلك استعانته بالغيب الزائف من خلال العرافات، اللائي دعاهن لقراءة المستقبل، كما عُرف ذلك عن أغلب الطغاة والمستبدين على مر التاريخ القديم والمعاصر ((وصدَّق ما قالته العرافة له في مجلسه الذي ربما لم يثره بشيء أول الأمر. غير أنه تأكد من حقيقته. فما ذكرته أمامه بأن احترس من رجل بعيد عنك قريب منك.....وانه واصلك لا ريب)) (عاصي، ٢٠٢٤)

سلطة الدين

سيتند الدين في ممارسة سلطته إلى الأمر الإلهي المتعالي، حيث يفرض تعاليمه لتنظيم الحياة الروحية والإجتماعية للفرد والجماعة. وهنالك نظرة سائدة عند أغلب المدراس الفقهية الإسلامية هي ((الإقرار بأن سلطة النبي من الله، بينما سلطة خلفائه مستمدة من المجتمع)) (خلف، ١٩٨٤) وهذا التصور هو الذي فتح الباب على مصراعيه أمام الطامحين للحكم باسم الدين . طيلة التاريخ العربي الإسلامي . مُصورِين أنفسهم على أنهم ظل الله في الأرض، وعلى الجميع إطاعتهم مرغمين، وهي أخطر السلطات. ((حيث أن الدين يمارس دورا إيجابيا في نطاق العلاقات الاجتماعية، إذ أنه يسهم في تماسك المجتمع ويملأ الفراغ الروحي للفرد، ويمكن أن يأتي القلق من الدور السلبي الذي يمارسه الدين في النطاق الاجتماعي، من بعض الممارسات التي تحاول استغلال الوظيفة الروحية للدين، واقحامها في تقوية نفوذ القوى السائدة ومنحها الشرعية وتدعيم فكرها الرافض للتغير)) (هويدي، ٢٠١٨)

وقد تحدثنا في المبحث السابق عن ممارسات (شرهان) في إنشاء سلطته وتدعيمها وتوفير سبب استمرارها. وقلنا في التمهيد أننا وضعنا مبحث سلطة الدين بعد مبحث سلطة السياسة، لأن مظاهر الدين من أسهل الطرق التي يتخذها الحكام الطغاة للسيطرة على عقول الناس. ومن مظاهر الدين المزيفة التي استغلها (شرهان) هو أضرحة الأولياء الصالحين. حيث ادعى أنه رأى في الرؤيا شخصا يخبره بأنه ولي صالح مدفون في المدينة، إسمه (الإمام الونان) وعليه أن يشيد ضريحا له ويعده بأن يحل له جميع المشاكل ((رأى فيما يراه النائم أن صوتا يناديه من بعيد.....إنهض يا شرهان أتمم ما نويت واقصد المكان الذي يتوسط النخلتين.....وبينما هو كذلك، وإذا برجل لا تتضح سوى قامته المجللة بالبياض واحتجاب وجهه وسط فيض الضوء)) (عاصي، ٢٠٢٤)فبنى له ضريحا حسب أمره المزعوم في الرؤيا المزعومة التي ادعى أنه رأها، وتلبس دور الناسك والسادن لضريحه، وأصبح يسن ما يشاء من القوانين بأمره. والناس مطمئنون لوجود هذا الضريح، حيث باتوا يعدون جواره رحمة وبركة

تحل على موتاهم عندما يدفنونهم قربه، حيث شكل في مخيلتهم ((أن الله ما بعث بهذا الولي الصالح إلا لدفع غضب شر أبي جداحة الذي ربما تسول له نفسه الإغارة بمياهه نحونا، فيضيع كل شيء تحت مسطحاته)) (عاصي، ٢٠٢٤)لكن المفارقة أن (نهر أبي جداحة) كان هو المخلص لهم من هذا الإمام المزيف ومن طغيان شرهان عندما غمر المدينة بالمياه فجعلها أثرا بعد عين، كما قدمنا في المبحث الأول.

كما نقل الروائي جاسم عاصي صورة أخرى لسلطة الدين، من خلال رجل الدين غير المزيف، لكنه المحايد، الذي لا شأن له بالسياسة فهو عاكف على العبادة فقط ((فقد بدا لمدينة شرهان كيان وسط أرض المحرمات، عدا كوخ بعيد ارتكن فيه شيخ جليل. ظل هكذا نائيا عن الجميع، وعدَّ شرهان وجوده هكذا لا نفع ولا ضرريأتي منه، لا يهمه سوى الورع وقراءة القرآن. ولم يثنه أحد عن عزلته)) (عاصي، ٢٠٢٤)حيث لم تخف السلطة منه لأنه ليس له نشاط سياسي، ولم تسعى للانتفاع به لأنه ليس له رغبة في متاع الدنيا الذي يمكن أن يقدمه له شرهان مقابلا لخدماته.

والصورة الثالثة التي اتخذها الروائي جاسم عاصي لسلطة الدين هي شخصية سجّاح، كما اتخذها قناعاً يمرر من خلاها رؤيته في أن رجل الدين المتنور أو المثقف هو القادر على مجابهة الطاغية الذي يتلبس بلباس الدين، وتوعية الناس في شؤون الدنيا والدين. وذلك من خلال شخصية سجَّاح ((كان ورعا وذا كرامة وعزة.....لقد التف حوله الناس وتحلقوا في مجلسه الذي ألهمهم العلم والفقه وحسن الكلام.....لهذا انتبه له الحاج شرهان شدد عليه قبضته.....بينما سجَّاح يسقط مكبَّلا وجسده ينتفض ويتلوى كسمكة كبيرة على اليابسة)) (عاصي، ٢٠٢٤)

وهي صورة ناصعة ولها تمثلات كثيرة في تاريخنا أو واقعنا الحديث والمعاصر. وهي شخصية البطل الفادي الذي يضحي بدمه نيابة عن المجتمع كي يوقظ فيه جذوة الثورة والتغيير، منذ الإمام الحسين عليه السلام حتى محمد باقر الصدر رحمه الله. وفي القراءة الأولية للرواية نتلمس من خلال أحداثها أن تلك الدماء وإن كانت قد أسهمت في ايقاظ وعي الناس، إلا أنها لم تأتِ بالخلاص. حيث جاء الخلاص بفيضان النهر أو بالمشيئة الالهية. ولكن بقراءة فاحصة اخرى نرى أن المشيئة الإليهة لا تتدخل في تغيير حال الناس إلا بعد أن يغيروا ما بأنفسهم ((إِنَّ اللّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ)) (القران الكريم :سورة الرعد)

ورجل الدين المتنور مثمثلا بسجَّاح غير ما بأنفسهم لذل استحقوا تدخل المشيئة الإلهية. وكانت جهوده متوافرة مع جهود عبد الله الناصري وسعيد الناصري وزليخة ومن ساعدوهم وهذا ما سنتطرق إليه في المبحث القادم سلطة الثقافة.

سلطة الثقافة

يبذل بعض المثقفين جهودهم لتنوير المجتمع الذي يعشيون فيه، مما يشكل سلطة ضاغطة على المجتمع وعلى السلطة السياسية التي تحكمه. حيث أن مفهوم الثقافة حسب أحد تعاريفها ف((انها مجموعة من الصفات الخلقية والقيم الاجتماعية التي تؤثر في الفرد منذ ولادته وتصبح لا شعوريا العلاقة التي تربط سلوكه باسلوب الحياة في الوسط الذي ولد فيه، فهي إذن: المحيط الذي يشكل فيه الفرد طباعه وشخصيته)) (نبي، مشكلة الثقافة، ١٩٨٤)وهذا يفرض على المثقف ((هو الذي يهتم بتحويل العالم من مستوى الضورة إلى مستوى الحرية، وأنه يسعى الى تحويل الحرية من واقع الفكرة المجردة إلى واقع العمل المتجسد فعلياً في الحياة مع الثمن الذي لابد أن يدفعه الإنسان في سبيل ذلك)) (حسين، ٢٠٢٢) وقد دفع هذا المثقف في رواية متوالية الناصري حياته ثمنا في طريق الحرية، وذلك من خلال شخصية سجَّاح الذي ورد ذكره في المبحث السابق، والذي قتله شرهان عندما عَلِمَ بنشاطه الثقافي في تنوير المواطنين.

وشخصيات أسرة آل الناصري، منذ أبيهم الناصري الكبير إلى ولده عبد الله الناصري وأخيه الأصغر سعيد الناصري ((لقد ورثتم آل الناصري السر الأعظم، ورثتموه من فم أبيكم. إذ أضرم الناصري الكبير ناره في دواخلكم وما ارتضيتكم بظل قائم.....فوراء كل جدار حاجة، وكل حاجة تحمل الخلاص المرتقب)) (عاصي، ٢٠٢٤) حيث ممثلا للمعارضة الثقافية من خلال تأثيره في المجتمع وتوعيتهم لما تمر به مدينتهم من اضطهاد من قِبلِ شهران والغرباء الذين جلبهم فشاع الخوف والفقر وغيرهما من الآفات التي تفتك بأي مجتمع تتفشى فيه، مستندا لقول مأثور ((عجبت لامرئ يدخل بيه فلا يجد طعاماو ثم لا يخرج شاهرا سيفه.....فلا تبخل على نفسك حُسن الاختيار والمعرفة. وما المعرفة على الأرض غير ما تدركه في الكتب)) (عاصي، ٢٠٢٤) وبقي عبد الله يتخفى . خلف إسم مستعار المراكشي . من جواسيس شرهان كيما يمارس نشاطه الثقافي، إلى كُشف أمره فقتله عندما علم بأمره ((نعم إلى أن خرجوا به محمولا على محفّة وفي موكب مهيب شارك فيه أهل المدينة ممن يقفون مع

عبد الله في دعوته، أو من الذين يبعون شرهان في ما يقوم به أو يدعيه)) (عاصي، ٢٠٢٤) وفي حكاية مقتل عبدالله الناصري يستدعي الروائي حادثة تاريخية، وهي قصة مقتل سعيد بن جبير على يد الحجاج (ويب) حيث يختلط التاريخ بالحاضر، وتتشابه الضحايا والقتلة والأساليب، فسعد بن جبير كان يمثل سلطة ثقافية مؤثرة ولم يجد الحجاج بدا من التخلص منه بقتله، وكذلك كان عبد الله الناصري في الرواية ((نظر شرهان لإغلى عبد لله بحقد واضح، ثم سأله: اختر الميتتة التي تشاء. فما كان من عبدالله إلا أن نظر إليه بقوة أغضبته، حيث أجاب: بل اختر أنت لنفسك القصاص الذي تستحق. فكان شرهان يلتهب غضبا)) (عاصي، ٢٠٢٤)

والشخصية الثانية هي أخوه الأصغر سعيد الناصري الذي يأتي إلى المدينة بناء على وصية أخيه الأكبر عبد الله الناصري، الذي يترك له مذكراته عند أحد اتباعه وهو مفيد الانصاري صاحب الخان (مسافر خانة درويش) الذي يستقبله ويحدثه عن أخيه ويدله على بعض أنصاره ومنهم زليخا. يعتمد سعيد في معارضته على التوعية الثقافية، فالكفاح المسلح لا يكفي دون توعية المجمتع كيما يقف مع المنتفضين ضد الظلم ((لا طريق لكبح أفعال شرهان إلا من خلال وعي الناس لما يدور حولهم، وإزالة جدار الخوف الذي شيده من يحيطون بقصره ومراكز قوته. فمن الممكن التسلل جماعات من من مستمعمرة المياه باتجاه المدينة.....غير أن ما يمكن وضعه في الحسبان هو خيبة الأمل التي عليها عامة الناس)) (عاصي، ٢٠٢٤) فيستدعي الروائي مرآته السردية ثانية أي شخصية سعيد بن جبير لقصة مقتل سعيد الناصري ((اسكت أيها التعيس يا بن التعيس.....ونادى على السياف.. فطلب سعيد أن يصلي ركعتين لوجه الله فوافق على مضض. وما أن توجه إلى القبلة، حتى صرخ شرهان:

. احرفوه عن قبلة المسلمين

قال سعيد بكل هدوء:

. أينما تولوا وجوهكم فثم وجه الله)) (عاصي، ٢٠٢٤)

والشخصية الثالثة التي مثل السلطة الثقافية وتأثيرها في المجتمع هي شخصية زلخيا، والتي تمثل أيضا دور المرأة الايجابي في المجتمع، ودورها في التغيير المنشود. رغم تهميشها في المجتمع قديما وحديثا، بل وحتى في هذه الرواية حيث جاء ظهورها في الثلث الأخير من الرواية. كانت زليخا تساعد عبد الله الناصري في نضاله ضد شرهان ومن ثم في مساعدة أخيه سعيد الناصري. وتمثل نشاطها في تعليم

الأطفال ليكونوا أحد ادوات التغيير، لانها ستطرق أبواب بيوت المدينة بهم ((قائلا لزليخا هؤلاء النواة.....نصل بهم إلى البيوت.....يوصلون ما نعطيهم من قول الحق، فلا يعملون غلا به. إنهم دعاة دون علمهم. يتربون على شيء يكون دالتهم على طول الزمن)) (عاصي، ٢٠٢٤)

الخاتمة:

توصلنا من خلال البحث (تمثلات السلطة في متوالية الناصري للروائي جاسم عاصي) أن السلطات يتوالد بعضها من البعض الآخر، ابتداء من المكان. كون المكان أول الموجودات، حيث أن الطبيعة الجغرافية لها دور كبير في تشكيل نوع السلطة السياسية. كما أن تلك السلطة . السياسية . إذا أرادت إحكام فرض هيمنتها على المواطنين فإن أسهل طريقة للوصول إلى مبتغاها هي اتخاذ الدين مطية لترسيخ تلك الهيمنة. وسيفرض كل ذلك من . خلال الحتمية التاريخية . ظهور معارضة مسلحة أو سلمية، وكلا هاذين النوعين من المعارضة سيحتاجان لتوعية الجهمور بما يمر به من ظلم واضهاد، ولا سبيل لتلك التوعية غير الثقافة؛ فتظهر هنا سلطة الثقافة التي تُلقي بظلالها على الحاكم والمحكوم. وتأكيد أن التاريخ يعيد نفسه، من خلال المرايا السرية التي اتخذها الروائي وسيلة للتعبير عن مراده، بلحاظ أن الرواية هي تاريخ موازٍ.

الهوامش:

ابن منظور. (١٩٩٩). *لسان العرب* . بيروت: دار احياء التراث.

جاسم عاصي. (٢٠٢٤). *متوالية الناصري ما آلت اليه المخطوطة على يد الناسخ*. دمشق: ديموزي.

جريدة المدى. (٢٠٢٣). *المدى*.

حسن بحراوي. (١٩٩٠). *بنية الشكل الروائي* (المجلد ط١). بيروت: المركز الثقافي العربي.

د. جميل صليبيا. (١٩٨٢). *المعجم الفلسفي بالالفاظ العربية والفرنسية والانكليزية والاتينية* (المجلد ط١). بيروت: دار الكتاب اللبناني.

د. حسين الصديق. (٢٠٠١). *الانسان والسلطة دراسة في اشكالية العلاقة وأصولها الاشكالية* . دمشق: منشورات اتحاد الكتاب العرب .

د. رهبة أسودي حسين. (٢٩ حزيران، ٢٠٢٢). *جدلية المثقف والسلطة جابر عصفور انموذجا*. تم الاسترداد من الطريق الثقافي.

د. زينب عبد الامير حسين القيسيس. (٢٠١٥). الشخصية المستلبة واثرها في البناء السردي لرواية وليمة لاعشاب البحر – نشيد الموت. *مجلة مداد الادب*، ٦٩.

د. محمد أحمد خلف. (١٩٨٤). *مفاهيم قرانية* (المجلد ط١). الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والاداب.

د. محمد عبد الحسين هويدي. (٢٠١٨). *تمثلات السلطة في روايات فؤاد التكرلي* (المجلد ط١). البصرة، العراق: دار شهريار.

دولة خضر خنافر. (د.ت). *في الطغيان والاستبداد والدكتاتورية* (المجلد د.ط). بيروت: دار المنتخب العربي.

مالك بن نبي. (١٩٨٤). *مشكلة الثقافة* (المجلد ط٤). بيروت: دار الفكر المعاصر.

مالك بن نبي. (١٩٨٤). *مشكلة الثقافة* (المجلد ط٤). بيروت: دار الفكر المعاصر.

محمد عبد الحسين الخزاعي. (١٩٩٨). *تحولات الشخصية في روايات عبد الرحمن منيف*. بغداد: جامعة بغداد كلية التربية ابن رشد.

موقع ويب. (بلا تاريخ). *سير اعلام النبلاء* .

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم

١. بنية الشكل الروائي، حسن بحراوي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ١٩٩٠م.

٢. تحولات الشخصية في روايات عبدالرحمن منيف، محمد عبد الحسين الخزاعي، رسالة ماجستير، جامعة بغداد، كلية التربية ابن رشد، ١٩٩٨ م.

٤. جدلية المثقف والسلطة جابر عصفور انموذجا، د. رهبة أسودي حسين، الطريق الثقافي، ٢٩ حزيران .٢٠٢٢

٤. جريدة المدى، العدد ٥٤٨٩، بتاريخ ١٥ . ٨ . ٢٠٢٣ م.

٥. سير اعلام النبلاء للذهبي، ج٤، ص ٣٢٢. نسخة الكترونية.

٦. الشخصية المستلبة واثرها في البناء السردي لرواية وليمة لاعشاب البحرنشيد الموت)، د. زينب عبدالأمير حسين القيسيس، الجامعة العراقية/ كلية التربية للبنات، مجلة مداد الأدب، ع ١١، ٢٠١٥م.

٧. في الطغيان والاستبداد والدكتاتورية، دولة خضر خنافر، دار المنتخب العربي، بيروت.

٨. متوالية الناصري ما آلت إليه المخطوطة على يد الناسخ، جاسم عاصي، تموز ديموزي، دمشق، ٢٠٢٤م.

٩. مشكلة الثقافة، مالك بن نبي، دار الفكر الفكر المعاصر، بيروت، ١٩٨٤ م.

١٠. الموسوعة العالمية وكبيديا.